كلية : الآداب

القسم او الفرع : اللغة العربية

المرحلة: الثانية

أستاذ المادة : د. خالد محمد ياسين

اسم المادة بالغة العربية : الكتاب القديم

اسم المادة باللغة الإنكليزية : old book

اسم المحاضرة الثانية باللغة العربية: مكتبة الجاحظ

اسم المحاضرة الثانية باللغة الإنكليزية : Al-Jahiz Library

مكتبة الجاحظ : تلك الآثار التأليفية التي خلفها الجاحظ زعيم البيان العربي وشيخ كتاب العرب وأستاذهم الأول وأول هذه المؤلفات :

١- البيان والتبيين

التعريف به : البيان هو الإفصاح ، والتبيين هو الإفهام أو التفهّم . ومن هنا جاء اسم الكتاب الذي يبحث عن كل ما يتصل بوسائل التعبير وأساليب الكلام بالإضافة إلى أبواب في النصح والمواعظ والأدب والشعر والنقد والخطابة .

وقد وضع الجاحظ الكتاب في أواخر حياته وأراد أن يكون وصيته الأخيرة للكتاب .

غاية الكتاب :

- هو كله متجه لتعليم الفصاحة .....

- وهناك غاية مهمة وهي الرد على الشعوبية التي حاولت ان اتحمل من عنان العرب وتفوقهم على سائر الشعوب (الفرس والروم والهنود) ولاسيما في ما يختص باللغة والأدب والنقد والخطابة والشعر.....

قيمة الكتاب :

١- هو خلاصة آراء وعادات وتقاليد وثقافات عربية وغير عربية (يونانية - بيزنطية - فارسية - هندية ...) .

٢- يعطينا فكرة عن حركة الشعوبية .

٣- يأتي على ذكر طائفة من العظماء (المسيح، كسرى، ارد شير، الاسكندر ...) والخلفاء والأمراء والمواد والزنادقة والماجنين .....

٤- يعتبر هذا الكتاب مرجعاً هاماً لتاريخ الأدب العربي (أخبار شعراء - خطباء - علماء - كتاب ...) وذلك ابتداء من الجاهلية حتى العصر العباسي الثاني .

القيمة الأدبية :

١- الحسنات:

١- تجلت في إعادة الاعتبار إلى الأسلوب الأدبي الأصيل عند العرب بعد ما سيطر الأسلوب الفارسي وكاد يقضي على سالفه بفضل أدباء أفذاذ من أصل فارسي أمثال عبد الحميد الكاتب وابن المقفع وغيرهما .

٢- جمع بين جناحي الأدب : منظومه ومنثوره "

٣- يُعد كتاب البيان والتبيين أولى محاولات التصنيف في علوم البلاغة بطرق تطبيقية مفيدة، وهو غني بالإستشهادات مما يدل على سعة ثقافة الجاحظ.

٤- ينطوي على نظريات قيمة في النقد (نقد الحرف واللفظة والعبارة والمعنى والنصوص والأدباء..) .

٥- يعطينا فكرة عن أدب العرب والفرس، وحكم الهنود ومنطق اليونان ونصائح اليهودية والمسيحية .

٦- يقوي فينا الروح الجدلية الصحيحة ويعلمنا كيف نقابل ونفاضل ونعلل ونحلل ونستشهد ثم نستنتج .

٧- بإمكاننا أن نعتبر الجاحظ في كتابه هذا أول من شق طريق النقد المقارن في مقارنته مثلاً بين بلاغة العرب وبلاغة الأعاجم أو بين القدامى والمحدثين.

٨- حاول أن يقيم الأثر الأدبي على ضوء معرفة صاحبه ومعرفة بيئته وأدبه هو صدى ذاته.

٢- المآخذ:

١- الطريقة التأليفية الفوضوية البعيدة عن التنظيم والتنسيق .

٢- عدم تجرد الجاحظ من تعصبه العنصري . عندما قارن بين بلاغة العرب مثلا وبلاغة بقية الشعوب، فقد بالغ في تحيزه للعرب وهذا شيء خطير جدا عند الناقد .

٣- كتاب الحيوان :

تسميته : سُمي بهذا الاسم من باب تسمية الكل باسم الجزء لأن موضوعاته تنحصر كلها في وصف الحيوان وذكر طبائعه واطوار وفوائد بل تعداها المؤلف واستطرد كعادته إلى معلومات واسعة تناولت الدين والأدب والفلسفة والعادات والتقاليد والأجناس البشرية ... مازجاً العلم بالأدب والجد بالهزل والفائدة بالتسلية .

غاية المؤلف من وضع الكتاب :

ليس الهدف من تأليف الكتاب التوقف عند وصف الحيوان وما يتعلق به كحيوان بل توخى منه اغراضاً أخرى منها :

١- إظهار علاقة الإنسان بالحيوان ومن ثم إظهار حكمة الله العجيبة وعظمته اللامحدودة ومقدرته الفائقة في خلقه الكون وإدارته إدارة حكيمة وأن الله سبحانه لم يخلق إلا النافع على الرغم من مظاهر الأذى في ضروب من مخلوقاته .
٢- ترويج المعرفة بين الناس ، وتسهيل سبلها بطرق محببة مشوقة فالكتاب كما يقول مؤلفه في المقدمة :" يجمع بين الجد والهزل لأنه يسعى إلى قرن اللذة بالفائدة : فتاتي الفائدة أعمق وأعم ....."

مصادر الكتاب: ذو مصادر متعددة ومختلفة . فهو خلاصة معارف عربية واجنبية (يونانية فارسية هندية ...) وفي مقدمتها كتب ارسطو وجالينوس .

المصادر العربية :

١- عن اساتذته (الأصمعي ، أبي عبيدة، أبي زيد الأنصاري النظام) .

٢- كتب الدين (التوراة والإنجيل والقرآن والحديث النبوي .

٣- ما ورد من أقوال الشعراء والأدباء في ما يتعلق بالحيوان .

٤- بالإضافة إلى خلاصة مناقشاته مع أهل الاختصاص في علم الحيوان .

أجزاء الكتاب: يقع الكتاب في سبعة أجزاء غير أنه لم يتبع فيه طريقة ترتيبية علمية فهو طبق الأصل عن أسلوب الجاحظ الاستطرادي حيث ينتقل من غرض إلى غرض ومن موضوع إلى آخر مازجا الأمور ببعضها بدون ترتيب وبدون حسن تخلص.

- الجزء الأول: يتضمن مقدمة طويلة يردّ فيها على شخص تناول كتبه بالطعن والانتقاد وفي هذا المجال يذكر مؤلفاته وكأنه يريد ان يبين للناس سعة معارفه وتنوع المواضيع التي عالجها وما أن ينتهي من الرد بطريقة فيها الكثير من التهكم والسخرية اللاذعة حتى ينتقل فجأة إلى موضوع آخر.

قيمة كتاب الحيوان:

يعد كتاب الحيوان دائرة معارف ذات قيمة مزدوجة تاريخية وعلمية، بالإضافة إلى قيمته الأدبية البعيدة عن جفاف العلم وركاكة الأسلوب فهو ذات عبارة أدبية رشيقة وساحرة ساوت بين الفكرة العلمية الرصينة والروح الأدبية المرحة.

- القيمة العلمية: يطلعنا على معلومات عامة وكثيرة فهو صورة من صور الحضارة العباسية التي انصهرت فيها الحضارة العربية بالحضارة (اليونانية الفارسية الهندية) بما هنالك من تمازج ثقافات وعادات وتقاليد ومعتقدات .

ومن خصائص العصر: حرية الفكر وحرية التصريح بالرأي، وقد ظهرت في المناظرات والمناقشات والكتابات ثم أن طريقته الفوضوية في التأليف هي صورة ايضاً عن عصره الفوضوي الذي قليلاً ما عرف دراسة علمية موضوعية منسقة مبوبة بل كانت تأخذ من كل علم بطرق.

وقد تجلت القيمة العلمية ، في نقاط عدة أبرزها:

١ - اتخاذ العقل مرجعا لكل معرفة فهو إمامه للوصول إلى الحقيقة المجردة ولا غرابة في ذلك، فالجاحظ من أنصار مذهب المعتزلة الذين يحكمون العقل في كل أمور الكون وهو القائل " وللأمور حكمان حكم ظاهر للحواس وحكم باطن للعقول والعقل هو الحجة"

٢- اعتماده على الاختبار الشخصي ، فلا يكتفي بما يسمع أو يقرا عند أهل الاختصاص بالحيوان حتى ولو كان المعلم أرسطو الذي . يؤمن به بل يلجأ إلى البراهين والاختبارات المبنية على أقيسة علمية " كجمعه لحيوانات مختلفة في إناء واحد أو في عدة أوان أو دفنها تحت التراب أو ذبحها وتفتيش جوفها أو استعمال إحدى المواد الكيميائية المعروفة آنذاك أو بواسطة ضرب من السم ..."

لكن لا يمكننا أن نطلق على الجاحظ رغم كل هذه الوسائل العلمية التي يستعملها صفة العالم كما نفهمها اليوم وذلك لجملة اسباب منها:

أ- لم يكن متخصصا بموضوع علمي معيّن له نظرياته وتطبيقاته .

ب- لم تتوفّر له الوسائل العلمية الصحيحة .

ج- لا يخلو كتابه من أخطاء وأوهام علمية.

د- طريقته طريقة فوضوية في التأليف والتنسيق ومعالجة المواضيع بعيدة كل البعد عن التخطيط المنهجي الصحيح.